حضور الغياب

تأملاتٌ في العشق

مدحت عيسى

ليليت للنشر والتوزيع

حضور الغياب

مدحت عيسى

غلاف/ كريم محمد

رقم إيداع /٢٥٢٥٩

الطبعة الأولى ٢٠١٦

الترقيم الدولى / ٨- ٠٢٤ - ٧٨٤ - ٩٧٧ - ٩٧٨

ليليت للنشر والتوزيع

الإشراف العام / إيمان سعيد

01022661632 - 012242723

lilettepublishing@gmail.com

www.lilithbook.com

جميـع الحقـوق محفوظـة للنـاشر وأي اقتبـاس أو إعـادة طبـع أو نـشر في أي صـورة كانـت ورقيـة أو إليكترونيـة أو في وسـيلة سـمعية أو بصريـة دون موافقـة كتابيـة مـن النـاشر، يعـرض صاحبـه للمسـاءلة القانونيـة .

مقدمة

كثيرةٌ هي كتب القصص والأخبار التي تتناول العشق والعشاق، فقد خصَّ الأدب العربي هذا الموضوع بمؤلفاتٍ عديدة مثلما نجد عند ابن حزم في (طوق الحمامة في الألفة والألاف)، وداود الأنطاكي في (تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العُشَّاق)، وابن قيّم الجوزية في (روضة المحبين ونزهة المشتاقين)، ورسالة الجاحظ في العشق والنساء، بالإضافة إلى أبوابٍ كثيرة منشورة في كتب تاريخ الأدب، ولقد اعتمد القارئ العربي على الكتب سالفة الذكر لفترات طويلة، وقامت دراسات كثيرة على ما في هذه الكتب من تقعيدٍ وتحليل لنظرية العرب في العشق، وخاصة كتاب ابن حزم.

أما هذا الكتاب الذي بين أيديكم فهو قراءةٌ جديدة لتجربة العاشق الذي يحكي ويصف أحواله العشقية الخاصة، وقد صُغتُ هذه الأحوال المختلفة في شكل بوحٍ أدبي يقترب في

بعض الأوقات من القصة القصيرة. وكتابي هذا أعبر فيه عن مواقف وتقلُّبات يعيشها العاشق خلال تجربته التي تتأرجح بين الأضداد وتتسع فيها الرؤية الإنسانية. وقد أتت الحالات العشقية مضطربةَ الترتيب كاضطرابِ العاشق في جُلِّ أحواله.

أما النصوص (النثرية، والشعرية) التي دَيَّلتُ بها كلَّ حَالة، فقد أتت متناغمةً لتُشَكِّل - مجتمعةً - صورة كليةً لخطاب العاشق، وقد مثَّلتُ هذه النصوص تلقائيةَ الاستجابة العاطفية، والإطارَ الأدبيَّ المتفاعل مع الحالات بالتفسير، أو بالقبول، أو بالاختلاف.

وقد راعيتُ أن أبتعد عن الإطالة، فلم أستغرق في التماس كلِّ ما يتعلق بموضوع العشق من أقوال الفلاسفة وعلماء النفس والاجتماع والأطباء؛ لاعتماد هؤلاء على الطرح الجاف والجدل الفلسفي وكثرة التنظير والتحليل، وإنما اكتفيتُ بأن أُورد ما أوردتُه على خصوصيته خالصًا رقيقًا عليه رائحةُ القلب.

في هذا الكتاب سيتجلَّى العاشق غارقًا في تجربة الحب

بسُمُوّها وغرائزها وما تحويه من إثارة وتشويق، ومتأملاً في نفسه وفي نفوس الآخرين؛ ليستكشف وجوهًا من الجمال ومشاعر الحب المتباينة.. بين الرضا والغضب والسعادة والشقاء.

مدحت عيسى

﴿شتاء عام ٢٠١٥﴾

بين الصمت والبوح

لعامينِ كاملين لم أنطِق الكلمة صراحةً، وفي المقابل هي لم تنطقْ لا بالكلمةِ ولا بأخواتها، استمرَّتْ في العطاء من غير بوح، وهمتُ في صحرائي أفتش عن أصداف البحر كي أُسِرَّ لها- عبثًا- بما كان بيننا. كثيرةٌ هي لحظات انهياري بها، وقليلةٌ هي الكلمات التي صغتُها تعبيرًا عن هذا الانهار..حينهَا أشعر أن اللغة تنهار ولا تصلح للتعبير عن هذه اللحظة .

(أحبُّك).. كلمةٌ لا مجاز فيها، هي حُبلى بالحقيقة، ولذا فإن تكرارها من بعد المرة الأولى قد يكون مثار تساؤلات عن صدق الدلالة، ومن ثم صدق القائل الذي هو العاشق .. في المرة الأولى تكون سؤالًا للمعشوق يقتضي إجابة أو ردًا، فإما: وأنا أحبك أيضًا، أو شيء آخر لا يحب العاشق أن يمرَّ بتجربة سماعه .. هي لا تملُّ سماع هذه الكلمة، ولا تضيق بأن تنتزعها مني كلَّ حين!

(نعم).. أقولها كثيرًا، أقولها من دون تفكيرٍ في الدلالة.. قد تكون إذعانًا، أو التزامًا، أو استسلامًا.. لا فرق.

(أنا) .. حينما أستخدم هذا الضمير، لا أحيله إلى المتكلم الحاضر صاحب الكبرياء، بل أعبر به عن العاشق الشاكي الغائب أمام حضورها القوي المغيِّب لأي ذواتٍ أخرى، وهكذا أتحول من متكلمٍ إلى غائب.

مصطفى صادق الرافعي:

هناك؛ في القلب؛ عند ملتقى سِرِّ الحياة وسِرِّ مُحييها؛ في القلب؛ عند النقطة التي يتقطع فيها الطرف بينكَ وبين من تحب، حين تريد الجميلة أن تقول لكَ أول مرة أحبك؛ ولا تقولها.. هناك؛ في القلب؛ وعند موضع الهوى الذي يتشعَّب فيه خيط من نظرك وخيط من نظرها فيلتبسان فتكون منهما عقدة من أصعب وأشد عقد الحياة، هناك؟ هذا معنى "هناك".

(رسائل الأحزان)

صلاح عبدالصبور:

لا.لا تنطقِ الكلمة
دَعْها بجوْفِ الصدرِ منبهمه
دعها مغمغمةً على الحلق
دعها ممزقَةً على الشَّدقِ
دَعْها مُقَطَّعةَ الأوصالِ مَرْمِيَّه
لا تجمعِ الكلمة..
دعها رَماديه
فاللونُ في الكلماتِ ضَيّعنَا
دعها غماميهْ
فالخصبُ شرَّدنا وجوَّعنا
دعها سديميه
فالشكْلُ في الكلمات تَوَّهَنا
دَعْها تُرَابيَّهْ
لا تُلْقِ نبضَ الرُّوحِ في كَلِمه

(أحبك /من ديوان: أقول لكم)

أحمد الشهاوي:

اكتُمي، فلا كَشْفَ في الحبِّ إلا بين اثنين، فالكتمان أصلح للحبِّ وأبقى، ولا تهتكي الأستار إلا إذا اجتمعتِ به، فالهتك نار العشق، ففيه نيلٌ وقتلٌ ولذةٌ سماوية تفتح قلبيكما على عالمٍ مسكونٍ بالدهشة والسحر.

(الوصايا في عشق النساء- الكتاب الأول)

نزار قبّاني:

أخافُ أن أقولَ للتي أُحبُّها
(أُحبُّها)
فالخمرُ في جِرارِها
تخسرُ شيئًا
عندما نصبُّها..

(أخاف/ديوان: الرسم بالكلمات)

مصطفى صادق الرافعي:

وإني لألمح فيه سرًا عجيبًا يكون فقدانُ العِبارة عنده هو أبلغ العبارة في وصفه، إذ لا تتكلم روعة الحسِّ بالجمال، وهي تنزل في صور الألفاظ، وإنما تغمز على القلب غمزةً خافتة، تُشعر الناظرَ أنّ روح المنظر خامَرَتِ الروح.

(أوراق الورد)

صورةٌ غائمة

لشهورٍ طوالٍ ظلَّتْ نَجْلَى من أن أنظر مباشرةً إلى عينيها، كانت تتلمَّس الأسباب لتنظر بعيدًا أو تقوم من مقامها بحُجة إحضار شيءٍ ما.. لا أذكر أنها تجاسرت مرةً وسمحتْ لعينيَّ أن تتعلَّقا بعينيها لأكثر من ثانيتين أو ثلاثة، وهكذا ظللتُ مدةً أتوقُ إلى الارتواء، فأعود أكثرَ ظمأً.

لا أذكر أنها ارتدتْ أمامي ما يُفصح عن مخبوئها .. ملابس عادية شَرُفت بأن تلامس هذا الجسد النّوريّ.. كلُّ ما يمكن أن يبوح بشيءٍ كانت تُغلِّق أبوابه، حتى أنها صارت معظم الأوقات تضع نظارة شمسية. وكانت كلما أرادت أن تحادثني في أمرٍ ما تطلب مني أن أحادثها مساءً.. في التليفون ..

حينما لا تتلاقى عينانا تُسمعني الكثير مما ترغب في البوح به، أحسُّ أنني مع امرأةٍ أخرى غير التي أعرف !!

سألتُها مرةً عن ألبوم صورها، فتركتني طويلًا ثم أتت بصورتين وحيدتين، وقالت: أنا لا أريد أن أريك إلا هاتين.. إحداهما لها وهي طالبة في الجامعة مع صديقاتها الكثيرات حيث تُظهر

وجهها- على استحياءٍ- في جانبٍ من جوانب الصورة. هي ليست جميلة .. هي فاتنة .. كلُّ ما فيها يقرُّ بإبداع الخالق في خلقه. أما الصورة الأخرى فكانت لها وهي لم تزل رضيعةً وقد توسَّدت يد والدتها الحنون.

وعندما صارت لها صفحة على الفيس بوك لم تضع صورةً لها، وبعد إلحاحٍ مني وضعت صورةً لا تكاد تُظهر ملامحها الجميلة، وكأنها فعلت ذلك عن قصد.

وبعد عامٍ تقريبًا وضعت صورةً واضحةً جدًا وقد تلثَّمت بوشاحٍ لم يُظهر من وجهها الجميل إلا عينيها العسليتين .. فرضيتُ بهما مُلهمًا ورسولًا.

محمود درويش:

أَعطِنا، يا حُبُّ، فَيْضَكَ كُلَّه لنخوضَ
حربَ العاطفتين الشريفةَ، فالمناخُ ملائمٌ،
والشمسُ تشحذُ في الصباحِ سلاحَنا،
يا حُبّ ! لا هدفٌ لنا إلاّ الهزيمةَ في حروبك ..
فانتصرْ أَنت انتصرْ، سَلِمَتْ يداك!
وَعُدْ إلينا خاسرينَ .. وسالمًا!

(فرحًا بشيء ما/ ديوان: كزهر اللوز أو أبعد)

مصطفى صادق الرافعي:

ولو أن نجمةً سألت الله لأن يخلقها امرأةً فتنزل على الشعراء بوحيٍ السماء وخيال السماء وأسرار السماء- لكانَتْها!.

(رسائل الأحزان)

انتظار

ستأتي .. لن تأتي .. ستأتي ..

في بدء الانتظار كنت أصبِّر نفسي بما سأناله منها من حُسن التبدِّي وحلو الكلام، ثم بدأتُ أبحث عن سببٍ تلو الآخر لتأخُّرها حتى استُنفدتْ أسبابي. وقبل الأخير ظللتُ أقلِّب في يدي هديتَها؛ وردةً صفراء وخاتمًا من زجاج .. الوردة انطفأ بريقها الساطع في سماء روحي وبدأتُ أذبل من ورائها، أما الخاتم فتوارى بعيدًا عن ناظريَّ تحسُّبًا لغضبةٍ مني فينتهي به الحالُ مُلْقىً في بِركة ماءٍ أوشكت أن تجفّ.

يساورني القلق .. يتحكم فيَّ. بعد برهةٍ أقول لنفسي: ربما سمعتُ الميعاد خطأً، أظنها قالت الخامسة وليست الرابعة .. هل قالت بجانب المقهى، أم بداخله؟ يخيِّم الشكُّ على كل الخطاب السابق للانتظار، ودرءًا للشكوك أتنقَّل بين الأمكنة .. أنتظر بعد الميعاد بساعتين، وفي النهاية أحمِّل أذني الذنب. أرى كلَّ المحيطين بي هادئين، وأنا وحدي القَلِق. أرقبُ في عيونهم كلَّ التساؤلات التي من قبيل: ما لهذا الرجل يتحرك كثيرًا جيئةً وذهابًا؟ هل هو تائه؟ أينتظرُ أحدًا ؟

خفتُ أن أحادثها في المحمول فيصادف ذلك اتصالها، وربما خفتُ من ألا تردّ.. أظنها الأخرى، في هذه الأثناء يتحول التليفون إلى ذاتٍ غير ناطقة، فأطيل إليه النظر، ليردَّ عليَّ بالصمت.. أقلِّب فيه، لعلَّ شحنه انقطع من طول الانتظار، أو لعلني أقف في مكانٍ تنقطع فيه السُبُل بين الشبكة والمحمول.. في هذه اللحظة لا تملك إلا أن تصغي إلى أي صوت يصدر من أي هاتف، لتنتبه كل حواسك وتنتفض؛ ظنًا أنها هي.

وحينما عدتُ إلى البيت بما يليق بخيبتي، لم أردْ أن أرى أو أسمع شيئًا، فغلَّقتُ نوافذي وتليفوني، واكتفيتُ بالنظر إلى سماء غرفتي أشوِّه في ملامحها- الجميلة- كلَّما تبدَّت معتذرةً على سقف غرفتي الأبيض.. ثم تخلَّصتُ من ألم الحذاء الجديد، كان اختيارَها وقد ارتديتُه فرحًا بها وباللقاء، والآنَ ما أقساه!

في النهاية أمسكتُ بالتليفون.. أرسلتُ إليها رسالةً: أعتذر عن عدم المجيء.. سأتصل بكِ غدًا..

محمود درويش:

في الانتظار، يُصيبُني هوسٌ برصدِ
الاحتمالاتِ الكثيرة: ربما نسيتْ حقيبتَها
الصغيرةَ في القطار، فضاع عُنواني
وضاع الهاتفُ المحمول، فانقطعتْ شهيتُها
وقالت: لا نصيبَ له من المطرِ الخفيف
وربما انشغلتْ بأمرٍ طارئٍ أو رحلةٍ
نحو الجنوب كي تزورَ الشمس، واتصلتْ
ولكن لم تجدْني في الصباح، فقد
خرجتُ لأشتري غاردينيا لمسائِنا وزجاجتينِ
من النبيذ
وربما اختلفتْ مع الزوجِ القديمِ على
شئونِ الذكريات، فأقسمتْ ألاَّ ترى
رجلًا يُهددُها بصُنعِ الذكريات
وربما اصطدمتْ بتاكسي في الطريقِ
إليّ، فانطفأتْ كواكبُ في مجرتها.
وما زالت تُعالج بالمهدئِ والنُّعاس

وربما نظرتْ إلى المرآةِ قبل خروجها
من نفسِها، وتحسَّستْ أجَّاصَتينِ كبيرتين
تُوِّجان حريرها، فتنهَّدتْ وتردَّدتْ:
هل يستحق أنوثتي أحدٌ سواي؟
وربما عبرتْ، مصادفةً، بِحُبٍّ
سابقٍ لم تُشفَ منه، فرافقته إلى العشاء

(في الانتظار/من ديوان: لا تعتذر عما فعلت)

ابن حزم:

ومن لذيذ معاني الوصل المواعيد، وإن للوعدِ المنتظَر مكانًا لطيفًا من شفاف القلب ... وإن لمبادئ الوصل وأوائل الإسعاف، لَتوجُّا على الفؤاد ليس لشيءٍ من الأشياء.

(طوق الحمامة)

محمود درويش:

بكوبِ الشرابِ المرصَّعِ باللازورد
انتظرْها
على بركةِ الماءِ حولَ المساءِ وزهرِ الكولونيا
انتظرْها
بصبرِ الحصانِ المعدِّ لمنحدراتِ الجبال
انتظرها
بذوقِ الأميرِ الرفيعِ البديع
انتظرها

ولا تتعجلْ فإن أقبلتْ بعدَ موعدِها
فانتظرها
وإن أقبلتْ قبلَ موعدها
فانتظرها

وخذها إلى شُرفةٍ لترى قمرًا غارقًا في الحديث
وانتظرها
وقدِّمْ لها الماء قبل النبيذ، ولا

تتطلعْ إلى توأميْ حجلٍ نائمينِ على صدرِها
وانتظرها
ومُسَّ على مهلٍ يدَها عندما
تضعُ الكأسَ فوق الرخامِ
كأنك تحملُ عنها النَّدى
وانتظرها
تحدثْ إليها كما يتحدثُ نايٌ
إلى وترٍ خائفٍ في الكمان
كأنكما شاهدانِ على ما يُعدُّ غدٌ لكما
وانتظرْها
ولمعْ لها ليلَها خاتمًا خاتمًا
وانتظرها
إلى أن يقولَ لكَ الليل
لم يبق غيرُكما في الوجود
فخذها برفقٍ إلى موتِك المشتهَى
وانتظرها

(درس من كاماسوطرا/ديوان: سرير الغريبة)

لغةٌ أخرى

نظرتُ إلى عينيها .. لم تكن تبادلني النظر، وإنما كانت تقول لي: أذنتُ لك. لم أكن أعلم ما ينبغي لي أن أفعله، خفتُ أن أسيء التصرف فلا أبادلها مقدارَ ما تأذن لي به، لمستُ بعضي وتجاسرتُ ولمستُ يدَها، فتناثرتْ خَجَلَى .. سارعتُ بالبحث عن كلمات أسفٍ واعتذار، إلا أنها حملتْ عني ذلك عندما ابتسمتْ عيناها، فهدأتْ حينَها أركاني.

.. أعلم أنه لا سرَّ في جسدي أمام هاتين العينين.

مصطفى الرافعي:

آهِ لو يتبين لكَ مكتومُها في بعض نظراتها الساجية الطويلة التي تغفل فيها عن كل حذر، وترسل فيها كلَّ خواطر الحب، وتمدُّها إليك وكأنها تقول: خذْ هذه النظرة وانظرني أنت بها لتطَّلع على ما في قلبي! ثم ترخيها بفتورٍ لينٍ كأنما تصارحك أنت ... أنها سئمتْ مقاومةَ فكرها وتريد أن تميل إلى صدرك ولو

بلحظةٍ من عينيها ... كل شيء فيها من نتائج فكرها، إلا تلك النظرات، فإنها وحدها نتائجُ قلبها.

(رسائل الأحزان)

ابن حزم:

واعلم أن العين تنوب عن الرسل، ويُدرك بها المراد، والحواس الأربع أبوابٌ إلى القلب ومنافذ نحو النفس، والعينُ أبلغُها وأصحُّها دلالةً وأوعاها عملًا. وهي رائد النفس الصادق، ودليلها الهادي، ومرآتها المجلوَّة التي بها تقف على الحقائق وتميز الصفات وتفهم المحسوسات. وقد قيل: ليس المخبرُ كالمعاين.

(طوق الحمامة)

مصطفى صادق الرافعي:

وكنتُ ـ كأنما أضرب من الحياة في قفرٍ من المعاني الجافية ـ لا أتوسَّم نضرة ولا أتهدَّى إلى حقيقة جميلة، فأرسلتها الحقائقُ السامية التي تعشقها نفسي، تقول في جمالها: تعال إلينا من هنا، إن الطريق من هاتين العينين.

(أوراق الورد)

ألَقٌ

السماء.. تبرق كلَّما تردَّدَ اسمُها سماعًا أو استدعاءً .. أشعر به يخدِّر جسدي، ويسيل مسيلَ الدم في شراييني.. أحسُّ به يوخزني، فأنتبه وأنحِّي كلَّ شيء جانبًا.. يتفتَّتُ الاسمُ حروفًا، فإلى القلب حرفان، أما ما تبقَّى فلا أسمعه جيدًا تحت تأثير حضورها؛ فلا أصغي لصوت أم كلثوم التي كنت أنتظر بدءَ حفلتها، ولا أحفل بكلامِ صديقي يسألني عن أمرٍ من أمور الأحوال الجارية. فإذا ما تخافتَ برقُها شيئًا فشيئًا أعود إلى طبيعتي الأولى، فأعتذر لصديقي أولًا، ثم أصيخ السَّمْعَ لسيدةِ الغناء لألحق بما تبقَّى من أغنيتها.

مصطفى صادق الرافعي:

هل تأملتَ مرةً في اسم حبيبك؟ وهل تعرف في الأسماء الكثيرة التي تماثله ما يماثله؟

إنّ كل الأسماء من اللغة، وهو وحده من النفس، والأسماء كالأرقام الحسابية، وهو وحده كالواقع المدلول عليه.

(أوراق الورد)

أحمد الشهاوي:

اخلُقي له في كل ثانيةٍ اسمًا يُشتق من اسميكما، واعلمي أن نفس العاشق تتفتَّح كلما ذكرتِ اسمه. فالاسم علامة الرسم. تأملي اسمكِ تجدي اللغة فيه مطابقةً للفعل.

(الوصايا في عشق النساء- الكتاب الأول)

نزار قباني:

يا سيدتي
أنتِ خلاصةُ كل الشعرِ
ووردةُ كل الحريات
يكفي أن أتهجَّى اسمكِ حتى
أصبح ملكَ الشعر وفرعونَ الكلمات.

(كتاب الحب)

حضور الغياب

أشعر برغبةٍ في أن أستدعي صورتها لتحضُر أمامي، فأتأمل تفاصيلها، أو بعبارةٍ أخرى: أشعر بحضورها دومًا؛ لأن الغياب والحضور يرتبطان بالزمان والمكان، وقد فقدنا الشعور بهما، فالمكان يعيد رسم نفسه من خلالها، فأشعر بالبعد في غيابها، وأحضُر في معيّتها.

أما الزمان فيبدأ بها وينتهي عندها، لا أهتم بتوارد الليل والنهار وتعاقب الأيام، وإنما أصحو على صوتها يلقي عليَّ سلامًا وأنهي يومي على أصداء ترانيمها، وما دون ذلك هو عندي من نافلة الزمن واعتياد تحرُّك الأفلاك.

وهكذا أظل في غيابٍ دائم عن نفسي وعن الصِّحاب.. أغيب عني لأحضر فيها، وأغيب عنهم لأراها.. أراها في ابتسامة الأطفال، وفي ابتهاجهم حينما يتقافزون.. أرى وجهها شبيهًا بصغار الطيور.. أراها في لمعان النجوم.. في كلِّ ما هو أبيض.

دائمًا أبحث عن طريقةٍ أتلاعب من خلالها بالغياب، كأنْ أعيد تصفُّح رسائلها على هاتفي المحمول، أو أن أنظر إلى صورها ونحن في إحدى الحفلات، وقد أختلق بعض المشاكل لأزيد عدد المكالمات.

حتى عندما تغيب عن ناظريَّ أعلم أنها تفكر فيَّ .. أنا معها هناك حتى وأنا قابعٌ في مكاني هنا ..

محمود درويش:

هِيَ: هل عرفتَ الحبَّ يومًا؟
هُوَ: عندما يأتي الشتاء يمسُّني
شَغَفٌ بشيءٍ غائب، أُضفي عليهِ
الاسمَ ، أَيَّ اسمٍ ، وأَنسى...
هي: ما الذي تنساه؟ قُلْ!
هو: رَعْشَةُ الحُمَّى، وما أهذي بهِ
تحت الشراشفِ حين أَشهقُ: دَثِّريني
دثِّريني!
هي: ليس حُبًا ما تقول

هو: ليس حبًا ما أَقول
هي: هل شعرتَ برغبةٍ في أن تعيش
الموتَ في حضنِ امرأةْ؟
هو: كلما اكتمل الغيابُ حضرتُ...
وانكسرَ البعيدُ فعانقَ الموتُ الحياةَ
وعانَقَتْهُ... كعاشقَيْن
هي: ثم ماذا؟
هو: ثم ماذا؟
هي: واتحَّدتَ بها، فلم تعرفْ يديها
من يديكَ وأَنتما تتبخَّرانِ كغيمةٍ زرقاءَ
لا تَتَبيَّنان أأنتما جسدانِ... أم طيفانِ
أَمْ؟
هو: مَنْ هي الأنثى - مجازُ الأرضِ
فينا؟ مَنْ هو الذَّكرُ - السماء؟
هي: هكذا ابتدأتْ أغاني الحبّ. أَنت إذن
عرفتَ الحبَّ يومًا!
هو: كلما اكتمل الحضورُ ودُجِّن المجهولُ...
غبتُ

هي: إنه فصلُ الشتاءِ، ورُبَّما
أصبحتُ ماضيَكَ المفضَّلَ في الشتاء
هو: ربما.. فإلى اللقاء
هي: ربما.. فإلى اللقاء!

(هي/ هو، ديوان: كزهر اللوز أوأبعد)

مصطفى صادق الرافعي:

وترى الصغيرَ إذا فارقته أمُّه نظرَ حوله ليستشفَّ ما انفصل من آثارها المحبوبة على كل الأشياء التي فيها حنين نفسه، وكذلك يفعل المحبُّ في كل ما مسَّته حبيبتُه، حتى كل شيء عليه لمحةٌ منها، حتى ليرى بعض الأشياء يكاد يبتسم له، وبعضها يرنو إليه، وبعضها يكاد يتيه ويتدلَّل ويصُدّ.

(أوراق الورد)

نزار قباني:

ولا أدَّعي العلم في كيمياء النساء
ومن أين يأتي رحيقُ الأنوثةِ
وكيف تصير الظباءُ ظباء
وكيف العصافيرُ تعلمت فنَّ الغناء
أريدكِ أنثى
ويكفي حضورُكِ كي لا يكون المكان
ويكفي مجيئُكِ كي لا يجيء الزمان

(كتاب الحب)

الطيف

عامٌ ونصفُ عام ..

كانت في أوْجِ زينتها، لم تكن لتعيرَني اهتمامًا لولا أن سقطتْ من حافظة أوراقها ورقةٌ التقطتُها وأسرعتُ خلفها.. تلاقت عينانا في غفلةٍ من حرصها الشديد، شكرتني وابتسمتْ برقةٍ ذوَّبت أركاني، ثم أسرعتْ في خطوِها وقد سَلَبَتْ القلبَ انتظامَ دقاتِه.

ظللتُ أتابع طيفَها الذي فوَّت عليَّ فرصة التلذذ بالنظر إلى قوامها الآسر. وبينما كنت ألقي كلمتي في جلسة المؤتمر الافتتاحية، لمحتُها تجلس في الصف الأخير من القاعة، توقفتُ لثوانٍ فاقدًا تركيزي تمامًا حتى ظننتُ أني نسيتُ كل ما أعددته لشهورٍ مضت. بعد انتهائي رحتُ أبحث عنها .. في اليوم التالي تمنيتُ أن أراها ثانيةً، ذهبتُ إلى المكان قبل الميعاد بساعةٍ، وتأخرتُ بعد انتهاء الجلسات ساعةً أخرى.. وطوال خمسة أيام لم أحظَ إلا بطيفها يتحرك أمامي شفيفًا في رداءٍ سماوي اللون.

ما أقساها تلك المرأة التي يأسرك جمالها للحظات، ثم تتركك تنتظر أن يلوح لك طيفُها كلَّ حين!

فاروق جويدة:

لأنكِ سرٌّ ..

وكل حياتي مشاعٌ مشاعْ

ستبقين خلف كُهوف الظلام

طقوسًا .. ووهمًا

عناقَ سحابٍ .. ونجوى شعاعْ

(ولا شيء بعدكِ)

مصطفى صادق الرافعي:

أَلَمَّ بي طيفُها بالأمس، فاقتحم بناء النسيان الذي رفعتُه بيني وبينها... وسرى طيفُها في نيتي مَسْرَى الزلزلة الراجفة في بقعتها من أرضها.

(أوراق الورد)

وآويتُ إليَّ

تحت تأثير الضغوط أفرُّ أحيانًا إليَّ .. فلا أتواصل معها جيدًا، أتجاهلُها كثيرًا، أطيلُ التأمل في نجوم السماء، أشاهدُ التلفاز لمددٍ أطول، أعيدُ قراءة الجريدة التي قرأتُها توًّا، أخرجُ كثيرًا مع أصدقائي الذين ملُّوا صمتي الدائم.

هي لم تكن تعلم أني كنتُ محتاجًا إلى حبِّها وثقتها لأخرج من عُزلتي .. كانت تكتفي بإظهار غضبها، فأزداد اعتصامًا بذاتي!!

نزار قبّاني:

لا تقلقي يومًا عليَّ .. إذا حزنتُ
فإنني رجلُ الشتاء
إن كنتُ مكسورًا .. ومكتئبًا
ومطويًّا على نفسي
فإن الحزنَ يخترعُ النساء

(مدخل/ خمسون عامًا من الشعر/ سيرة ذاتية قصيرة)

فاروق جويدة:

أريحيني على صدرك
لأني متعبٌ مثلك
دعي اسمي وعنواني وماذا كنتْ
سنين العمر تخنقها دروب الصمتْ
وجئتُ إليكِ .. لا أدري لماذا جئتْ
فخلف الباب أمطارٌ تطاردني
شتاءٌ قاتم الأنفاس يخنقني
وأقدامٌ بلون الليل تسحقني
وليس لديَّ أحبابٌ
ولا بيتٌ ليؤويني من الطوفان
وجئتُ إليكِ تحملني
رياحُ الشك.. للإيمانْ
فهل أرتاح بعض الوقت في عينيكِ
أم أمضي مع الأحزانْ؟

(شيء سيبقى بيننا)

أما بعد،،،

كثيرًا ما كانت تُوسمني بالمستبدِّ، فأبثُّها الطمأنينة، فتسكن إليَّ حتى حين. كانت تظن أنها مكبَّلة مأسورةٌ، وكنتُ أرى أن حبي لها ينساب من خلال هذه القيود. وبعد مدةٍ من زمان- أظنُّها عامًا أو يزيد- فوجئتُ بخطابٍ متروك على مكتبي، قرأته فإذا بصرخةِ بوحٍ تئنُّ في وجهي، وإذا بي أئنُّ لحزنها البادي على كلامها: "... أنت قاسٍ .. أنت عنيد .. أخاف منك أحيانًا.. أحبك".. ما أصعبَ أن يُلامَ الرجلُ ممن يحب.

ولكن ..ألم تُنه خطابها بجملة (أحبك)، فالأمرُ إذن لا يتعدَّى رغبتها في إيجاد سُبل تواصلٍ أكثر تأثيرًا، ولقد فهمتُ الرسالة، ومرَّت سنواتٌ من بعد خطابها سعيدة.. هي لم تكتب لي خطابًا آخر!!

مصطفى صادق الرافعي:

انتظرتُ رَدَّ كتابي (خطابي) أو ورقةً من شجرة عتابي، فما زالت تتقطَّع الساعةُ من الساعة ويلتقي اليوم باليوم، ويذهب اللومُ إلى العتاب ويجيء العتابُ إلى اللوم، وكتابُكِ على ذلك كأنه مُغْمَىً عليه لا هو في يقظةٍ ولا هو في نوم. فسبحانَ من علَّم آدم الأسماء كلها لينطق بها وعلَّمكِ أنتِ من دون أبنائه وبناته السكوت .. والسلامُ عليكِ في أزلية جفائكِ التي لا تنتهي. أما أنا فالسلامُ عليَّ يومَ ولدتُ ويوم أموت.

(أوراق الورد)

نزار قبّاني:

تلكَ الخطاباتُ الكسولةُ بيننا
خيرٌ لها.. خيرٌ لها.. أن تُقْطَعَا
إنْ كانتِ الكلماتُ عندكِ سُخْرَةً
لا تكتبي. فالحبُّ ليس تبرُّعا
إني لأقرأ ما كتبتِ فلا أرى
إلاّ البرودةَ .. والصقيعَ المفْزِعا..

ما أسخفَ الأعذارَ تبتدعينها
لو كان يمكنني بها أن أقنعا
سنةٌ مضتْ. وأنا وراء ستائري
أستنظر الصيفَ الذي لن يرجِعا..
كلُّ الذي عندي رسائلُ أربعٌ
بقيتْ - كما جاءت- رسائلَ أربعا.
هذا بريدٌ؟ أم فُتاتُ عواطفٍ؟
إني خُدعتُ. ولن أعودَ فأُخدَعا

(بَريدها الذي لا يأتي/ من ديوان: الرسم بالكلمات)

مصطفى صادق الرافعي:

وإن كتابك (خطابك) ليأتيني وكأنه صفحةُ مرآةٍ مسحورة بسرٍّ من أسرار الحياة: لا تلبث عيني أن تدور فيها دورةً، فإذا أنتِ ماثلة، وإذا أنا لا أقرأ كلامكِ، بل أقرأ وجهكِ.

(أوراق الورد)

طقوسٌ

تألم رأسي، ارتفعتْ حرارتي فجأة، وانتفض جسدي من أثر حُمَّى حلَّت بي من غير سابق إنذار، وبينما كنتُ أهذي- هي أخبرتني بهذا بعدما انتبهتُ- تواصلتْ حبَّاتُ العَرَقِ خروجًا من مسامّي باردةً كالثلج.

كانت قد دثَّرتني بثلاثة أغطية بعضها فوق بعض من دون أن أشعر بالدفء، ظلت طوال الليل تحتضن رأسي كطفلٍ صغيرٍ آبَ إلى حضن أمه من بعد طول فراق .. لم تنم ليلَها، باتت تضع منديل الماء البارد فوق جبهتي، وتكرِّر الأمر حتى بدأ جسدي يطمئن إلى هدأةِ الليلِ، ويسكن.

ثم ترامى إلى سمعي هدهداتٌ وهمساتٌ، لم يكن ذهني المضطرب بقادرٍ على فهمِها مترابطةً، وإنما كانت تنساب إلى داخلي محدثةً هدوءًا وخَدَرًا يفوقان أثر كلِّ ما تناولتُه من دواء .. ثم شعرتُ بيدِها الناعمة تتحرك بطيئةً فوق رأسي وخَدِّي، وكأنها تمارس طقسًا أنثويًّا يطرد قوى الشرِّ التي تحيط بي .. عظيمةٌ هي، وعجيبٌ أمرُها حينما تحوِّل لمسات أناملها وترانيمها إلى تمائم تعلِّقها على صدري .. أَسِحرٌ هذا ؟!

مصطفى صادق الرافعي:

فالمرأة في عين محبها المفتون أجمل من مسحت يد الله على وجهها من النساء؛ فتركت الأثر الإلهي يتسلط في سحر عينيها، وأودعت روح الجنة أمانةً بين شفتيها، ووصلت بين الرحمة والنفوس بذلك النور المتلألئ في ثغرها، وأضافت إلى النواميس النافذة في الكون فتور عينيها وتنهدات صدرها.

(رسائل الأحزان)

نزار قباني:

ما يُفرحني يا سيدتي
أن أتكوَّم كالعصفورِ الخائف
بين بساتينِ الأهداب
ما يُبهرني يا سيدتي
أن تُهديني قلمًا من أقلامِ الحبر
أعانقه وأنام سعيدًا كالأولاد

(كتاب الحب)

مصطفى صادق الرافعي:

وإنما تأتي المعاني التي أبدعُها فيكِ من تلك العواطف التي تخلقينها أنتِ فيَّ. وكما لا ينطق فم الإنسان من شفةٍ واحدة، فكذلك لا بُدَّ للحب من اثنين ليتكلم فمُ الحقيقة بكلام الحب ... الحبُّ أن يخيم جوٌّ موسيقيٌّ على بعض أيام العمر ليتمَّ فيه الانسجام بين نفسٍ عاشقة وصورةٍ جميلة، إذ لا بُدَّ لانسجامِ الجمال في الحب من أن يكون المعشوق عند محبِّه في مثل تناسق اللحن الفنِّي لا يخرج منه شيءٌ عن الوزن والطرب.

(أوراق الورد)

من أولِ السَّطر

"فلنبتعدْ قليلًا"

.. هـذا مـا ألقتْـه إليَّ ثم غابـت. أخطـأتُ كثيرًا بملاحقتهـا وسـؤالي اللحـوح عـن سـبب مـا يحـدث .. كان طلبهـا طبيعيًّـا ومنطقيًّـا بعدمـا اختلطـت الأوراق وأصبـح الأمـرُ بيننـا محاطًـا بالغمـوض والضبابيـة.. كانـت فرصـةً لتصحيـح المسـار الـذي انعطف لأسـبابٍ عديـدة.. طلبـتُ منهـا أن تعيـد النظـر في قرارهـا، لكنهـا أصرَّت ..

قـد يبتعـد العاشـقُ رغبـةً في أن يكـون مسـتقلًا قـادرًا عـلى اتخـاذ القـرار بـدون المعشـوق، وقـد يبتعـد ليـدرك مـدى حبـه له.. وهكـذا يتحـول قـرار الابتعـاد إلى جـزءٍ مـن تجربـة العشـق.. وقـد يبتعـد لسـببٍ آخـر..

نزار قبّاني:

أنا لم أقلْ
إني عشيقٌ ... رائعٌ أو مدهشٌ
أو رائدٌ في فنه،
لكنني سأحاول
أنا لم أكن بطلًا خرافيًّا كما يصفونني
لكنني من نصفِ قرن
لا أزالُ أحاول
لن تعرفي طعمَ السلامِ بجانبي
فأنا التناقضُ ... والتحولُ ...
والجنونُ العاقل
لا تحلمي أبدًا ببحرٍ أزرقٍ
أو أسودٍ ...
أو أبيضٍ ...
فأنا بحاري ما لهن سواحلُ
إياكِ أن تتورَّطي ...
فأنا، مع الأوراقِ كلَّ دقيقةٍ

أتقاتل ...
أنا لم أقل ...
إني سأعملُ عاشقًا متفرغًا
ببلاطِ سيدتي الجميلة،
إنما سأحاول
أنا لم أقل أبدًا بأن مواقفي أبديه ...
وعواطفي أبديه ...
هذا كلامٌ باطل
أنا لم أقل إني سأبقي ثابتًا
ومعلَّبًا ... ومحنطًا ...
فأنا حمامٌ زاجل!!

(درسٌ في الحب لتلميذةٍ لا تقرأ/ديوان:
خمسون عامًا من الشعر)

لا بُدَّ منها

في بعض الأحيان أجد في غيرتي لذةً؛ لأنها (هي) مركز اهتمامي.. فقد يغرق العاشق في الخصومة مع كل المهتمين بالمعشوقة؛ لأن (الأنا) ترفض وجود عاشقٍ غيرها..

أذكر أنها كلما مرضتْ أغار من المرض الذي نجح في الاستحواذ عليها حينًا.. وقد حكى لي أحدُ المحبين أنه كان يغار على حبيبته من الشيكولاتة!!

ابن قيّم الجوزيّة:

والغَيرة نوعان: غيرةٌ للمحبوب، وغيرةٌ عليه. فأما الغيرة له فهي الحَمِيَّة له والغضب له إذا استُهين بحقه وانتُقصت حُرمته وناله مكروهٌ من عدوه.. وأما الغَيرة على المحبوب فهي أنفة المحب وحَمِيَّته أن يشاركه في محبوبه غيره، وهذه أيضًا نوعان: غيرة المحب أن يشاركه غيره في محبوبه، وغيرة المحبوب على محبِّه أن يحبَّ معه غيره .

(روضة المحبين ونزهة المشتاقين)

الهدية

طـوالَ شهـرٍ أو يزيـد أقلِّـب الأفـكار في رأسي .. هـل أسـألها عمـا ترغـب في أن تُهـدَى في عيـد ميلادهـا؟ أم أصحبهـا مـعي لتختـار بنفسهـا؟ أم أجتهـد لأختـار بنفـسي؟

ظللتُ ساعةً أقلِّب ناظريَّ لأنتقي شيئًا يليق بها (بي) (بالحب). وبعـد أن فقـد البائـعُ الأمـلَ في أن أخـبره حاجـتي جلـس بعيـدًا منتظـرًا انتهـائي مـن تِيهي وجـولان خواطـري، وحينما اخـترتُ أومأ برأسـه أنـه فهـم طلبي، أنزلها من عـلى الـرفّ، تأملتُهـا فَرِحًـا معجبًا.. أحسـنَ البائـعُ لَفَّهـا وتزيينَهـا، وأحسـنتُ إكرامَـه.

حملـتُ هديـتي، وفي طريـقي إليهـا كنـتُ أتسـاءل: هـل ستسـعد، أم لا؟.. أظنهـا سـتتفافز ابتهاجًـا بي وبهديـتي .. أم تُراهـا تكتـفي بإطراقةٍ مـن رأسهـا ونصـف ابتسـامة ؟؟!!

بعـد أن تأكـدتُ مـن لمعـان حـذائي، تمنيـتُ أن أصـدُف مـرآةً في طريـقي كي أعـدِّل هيئـتي، وقـد كان لي مـا تمنيـت، مكثـتُ طويـلًا أضبـط ربطـة عنـقي، أحلُّهـا وأربطهـا، إلى أن اسـتقام لي أمرهـا.. كنـت طـوال الطريـق أوزِّع الابتسـامات عـلى المـارَّة وخاصـةً

الأطفـال .. أطيـل التأمـل في الـسماء .. أفكـر في الـكلام الكثـير الـذي سأقوله، وأعيـد ترتيـب أفكاري بمـا يليـق بهديتي وبالانتظـار. وحيـنما رأيتُهـا تسـمَّرتُ مـكاني ولم أنبِـسْ ببنـتِ شـفة، مـددتُ يـدي فصافحتُهـا، وبالأخـرى قرَّبـتُ هديـتي..

مصطفى صادق الرافعي:

يا زجاجـة العطـر، اذهـبي إليهـا، وتعطـري بمـسِّ يديهـا، وكـوني رسـالة قلـبي لديهـا. وهـا أنـذا أنـثر القبـلات عـلى جوانبـك، فمـتى لمسـتكِ فضـعي قبلـتي عـلى بنانهـا... وهـا أنـذا أصافحـكِ، فمـتى أخذتـكِ في يدهـا فكـوني لمسـة الأشـواق.

(أوراق الورد)

صلاح عبدالصبور:

لأنّ الحبّ مثل الشعرِ ... ميلادٌ بلا حُسْبانْ
لأنّ الحبّ مثل الشعرِ، ما باحت به الشفتانْ
بغيرِ أوانْ
لأن الحبَّ قهارٌ كمثلِ الشعرْ

يرفرف في فضاء الكون ... لا تَعْنو لهُ جَبْهَه
وتعنو جبهةُ الإنسانْ
أحدّثكمُ - بدايةَ ما أحدّثكم ـ عن الحبِّ
حديثُ الحبِّ يوجِعُني ويُطرِبُني ويُشجِينِي

(الحب /من ديوان: أقول لكم)

ابن حزم:

واعلم أن للحبِّ حكمًا على النفوس ماضيًا، وسلطانًا قاضيًا، وأمرًا لا يخالف، وحَدًّا لا يُعصى، وملكًا لا يتعدّى، وطاعةً لا تصرف، ونفاذًا لا يرد.

(طوق الحمامة)

ظلالُ البعيدة

سنواتٌ ثلاثٌ مرت على ما كان مني ومنها .. تباعدتْ، تساءَلْتُ، كابَرتْ، تناثرتُ، تحمَّلَتْ، تمادَيْتُ، فغربَتْ.

كان بداخلي يقينٌ بأنها كانت تتلمَّس أخباري طوال هذه المدة، وقد بلغني ذات يومٍ أنها تتابع- يوميًّا- كلَّ ما أكتب على صفحتي من دون أن تخطئ مرةً وتُبدي إعجابها أو رفضها لما أكتب .. كنتُ متأكدًا أنها إحدى صديقاتي اللواتي يقدِّمن أنفسهن بأسماء مُستعارة، وكدتُ أعرفها من تعليقٍ كتبتْه في غيبةٍ من حرصها، لكنها عادت لتبدِّدَ ظني بإظهار ما يناقض صورتها النقيَّة.

وما بين الحين والآخر كنتُ أقابل صديقتها المقرَّبة مصادفةً، فأُمسِكُ عن السؤال عنها، وتباغتني هي بسيلٍ من أخبارها في حياتها الجديدة. كلَّ مرةٍ- وكأنها تتلذَّذ بمعاناتي- كانت تسألني عن السبب الحقيقي وراء افتراقنا، وكنتُ أجيبها أنني المخطئ وليس هي، فتنظر إليَّ مبتسمةً وتتركني نهبَ ذكرياتي .. واعتزازي بنفسي.

وحينما عدتُ إلى المنـزل، فتَّشتُ حاجياتي، أخرجتُ لُفافةً ورقيةً بداخلها رسالة كانت قد أرسلتْها إليَّ، قرأتها خمسَ أو ستَّ مرات.. ما زال عطرُها يفوح من كلماتها، وكأنها المرة الأولى التي أقرؤها فيها!

مصطفى صادق الرافعي:

ولَعَمْري إني لأريد أن أنساها ثلاثَ مراتٍ لا مرةً واحدة، ولكنها في ذكراي كأنها ثلاث نساء؛ واحدة في الرضا، وثانية في الغضب، وثالثة بين ذلك؛ واحدة في كلمة، وأخرى في قُبلة، وثالثة في معنى من المعاني.

(رسائل الأحزان)

فاروق جويدة:

تغيبين عني ..
وأسأل نفسي: تُرى ما الغياب؟
بعادُ المكان .. وطولُ السفر؟
فماذا أقول وقد صرتِ بعضي

أراكِ بقلبي جميعَ البشرْ
وألقاكِ كالنور مأوى الحيارى
وألحان عمرٍ شجيِّ الوترْ
وإن طال فينا خريفُ الحياة
فما زال فيكِ ربيعُ الزَّهَرْ

(لأنكِ مني)

مصطفى صادق الرافعي:

إنـه ليـس مـعي إلا ظلالهـا، ولكنهـا ظـلال حيـة، تروح وتجيء في ذاكـرتي، وكل مـا كان ومـضى هـو في هـذه الظـلال الحيـة كائن لا يفـنى.

(أوراق الورد)

التورُّط

في البدءِ .. خفتُ مما حذرني منه كثيرون من أن الحبَّ تورُّط، وأنه نوعٌ من أنواع التأزُّم. ولكني اكتشفتُ عندما امتلكتُ الحب أنني أصبحتُ قويًّا، صرتُ أكثر تعاطفًا وتفهُّمًا وقبولًا .. تعلمتُ أن أُسْلِمَ نفسي لها من دون ضمانات، أن ألقي بأسلحتي في يدها، وأقف على أعتابها عاريَ الصدر مطمئنًا .. تعلَّمتُ أن أقرَّ باحتياجاتها واهتماماتها وتفرُّدها، ثم آمل من بعد ذلك أن يرتدَّ حبي إليّ .. في هذا السياق يكون للفعل (أَعْطَى) معانٍ أسمَى.

العقّاد:

وقد يخلو الحبُّ من كل شيء إلا من شيءٍ واحد، وهو الاهتمام. فصدِّق إن قيل لك إن حبيبًا يبغض حبيبه ويؤذيه ... وصدِّق إن قيل لك إن الحب والازدراء يجتمعان، وصدِّق إن قيل لك إن الحبَّ يخون ... فأما إنْ قيلَ لك إن حبًّا يبقى في النفس بغير اهتمام، فذلك هو المحال الذي لا يقبل التصديق.

(أنا)

نزار قبّاني:

لماذا ارتبطتِ بتاريخِ جُرحي؟
وتوقيتِ حزني
وفوضى ظنوني
لماذا سرقتِ تقاطيع وجهي؟
وشكلَ يديَّ
ولون عيوني
أنا لا أريدكِ أن تشبهيني
سيأتي نهارٌ ..
أحبُّك فيه،
وأعرفُ أنَّ التورُّطَ في العِشْقِ،
فعْلُ جنونٍ ...
وفعْلُ انتحارْ ...
فلا تَقْلَقي إن تأخَّرَ عنكِ قطاري قليلًا
فإنّي اِتخَّذْتُ القَرارْ ...

(لماذا/من ديوان: خمسون عامًا من الشعر)

مصطفى صادق الرافعي:

ولقد قالت لي مرةً في أمرٍ سبقَ إلى قلبي منه شيءٌ فعاتبتُها: إنها مسألة لا تهم. فقلتُ لها: نعم لا تهمّ، ولكنها تدلّ. فقالت: نعم تدلّ، ولكن معها الحبُّ فلا تهمّ ولا تدلّ.. في الحبِّ لا فصلَ بين الصغائر والكبائر، إذ كانت قيمة الصغيرة والكبيرة في اعتبارها لا في ذاتها.

(أوراق الورد)

نزار قباني:

وأعرف أن هواكِ انتحار

وأني حين سأكمل دوري

سيُرخى عليَّ الستار

وألقي برأسي على ساعديكِ

وأعرف أن لن يجيءَ النهارْ

وأقنع نفسي بأن سقوطي

قتيلًا على شفتيكِ انتصار

(كتاب الحب)

النافذة

كثيرًا ما كنت أزعم أنني أفهمها جيدًا من قبل أن تقول شيئًا .. وإن تكلَّمتْ سارعتُ إلى إثبات فِراستي فأمنعها أن تكمل كلامها، ثم أصنِّف وأرتِّب لها أفكارها. كنتُ وقتَها أشعر بفرحة غامرة؛ لقدرتي على فهم ما يجولُ بخاطِرها، وكأنني أطبق بيديَّ على ما بداخلها، فتزداد ثقتي بنفسي، وأقول مفتخرًا: ها أنتَ ذا تقبع متربِّعًا على عرش قلبها .. كانت تكتفي بالصمت، وكنت أظن أن صمتها دليل قبولٍ لأفعالي.. لم تكن تحتاج إلا لأنْ أُصغي إليها، أن أفتح عليها نوافذي.

هي حينما تتحدث، تدعوني إلى أن أرتاد عوالمها وأكتشف خباياها، هي تتكلم لتشعر بوجودها داخلي، تتكلم لتتآلف، لأخاطب رُوحها، لأعرف أن بداخل مَنْ تتكلم امرأةً أخرى تظهر ثم تختفي فجأةً؛ تاركةً فيَّ شعورًا يصعُب وصفه ..

جبران خليل جبران:

لِيُحبَّ أحدُكما الآخر، ولكن لا تجعلا من الحبِّ قيدًا، بل اجعلاه بحرًا متدفقًا بين شواطئ أرواحكما، وليملأ أحدكما كأس رفيقه، وحذارِ أن تشربا من كأسٍ واحدة.

وليُعْطِ أحدُكما الآخر من خُبْزه، وحذارِ أن تجتمعا على رغيفٍ واحد.

غنِّيا وارقُصا وامرَحا معًا، ولكن ليخلُ كلٌّ إلى شأنه، فإن أوتار القيثارة مشدودةٌ على افتراق، وإن خفقت جميعًا بلحنٍ واحد.

(النبيّ)

مصطفى صادق الرافعي:

إن الكلام في نفسه وسيلة من وسائل الفهم؛ فهو لغة، ولكنه في الحب وسيلة الجذب، فهو قوة، واللغة من بعض أدوات الحياة. أما لغة الحب خاصةً فالحياة من بعض أدواتها.

(أوراق الورد)

في الحبِّ شيءٌ من كلِّ شيء

تنتابُني أحاسيسُ متناقضة، أحبُّ كثيرًا منها وأبغض بعضًا، أسعد بها كثيرًا وأحزن قليلًا، ومثلما أهنأ بطمأنينةٍ أبدية في حِضنها، أتقلَّب على شوك هجرها وصَدِّها. أشتِّتُ بعضي لتجمعني، أضلُّ في طريقي إليها لترشدني إلى حيث ينبغي لي أن أسير. أشعر أنني أفهمها جيدًا، ويضغط عليَّ شعورٌ ثقيلٌ بأنها عَصِيَّة على الأفهام ..

ومع أني أميل بطبيعتي إلى الرزانة والحكمة، أفقد معها هذه المعاني، فأصير كثير المزاح محلِّقًا بخفةِ طائرٍ صغير، وتسيطر عليَّ رغبةٌ قوية وأنا معها في أن أفيض في الحكي من دون توقف .. ورغم أنني قوي، أكون معها- حضورًا أو غيابًا- تابعًا لها في كل شيء؛ في إرضائها بشتى الوسائل؛ في تلمُّس أدقِّ تفاصيلها. وبقدرِ ما يضيفه الحبُّ إليَّ من سموٍّ روحي يستلزم أخلاقيات راقية.. تعتريني صفاتٌ سيئة لم تكن مني قبلًا؛ فأصير أنانيًّا في حبها، مغرورًا به.

وقد أحبُّ أشياء لم أكن أحبُّها من قبل .. أذكر أنني صرتُ فجأةً أحبُّ اللون الأصفر، وصرتُ أتلمَّس أخبار النجوم والأبراج، وأنتظر لقائي بالغجرية قارئة الكفِّ كلَّ أسبوع!!

مصطفى صادق الرافعي:

أحببتُها جميلةً لأوجد بها الجمال في معانيَّ وذوقي، ورقيقةً لأسيل منها بالرقة في عواطفي ونزعاتي، وظريفةً لأزيد بها في نفسي طبيعةَ مرحٍ وابتهاج، ومتوازنةً لتُدخل في طباعي الانسجام والوزن وصحة التقدير، وناعمةً لتخلُص بروحي من خشونة الضرورات القاسية في الحياة، ورشيقةً لتهب خيالي سرَّ التوثب والحركة، وجذابةً لأجد بها المغناطيس الذي يجذبني في الإنسانية إلى مصدري الأعلى. وأحببتُها وهي بجملتِها فنٌّ وجمالٌ ووحيٌ، لأرجع وأنا بجملتي حُسنٌ وانفعالٌ وإدراك.

(أوراق الورد)

السرّاج القارئ:

العشقُ جليسٌ ممتعٌ وأليفٌ مؤنس، وصاحبٌ ملك، مسالكُه لطيفة، ومذاهبُه غامضة، وأحكامُه جارية، مَلَكَ الأبدانَ وأرواحها، والقلوبَ وخواطرَها؛ والعقولَ وآراءها؛ وأُعطِيَ عنانَ طاعتها.

(مصارع العُشّاق)

محمود درويش:

هو الحبُّ كالموج
تكرارُ غبطتنا بالقديم الجديد
سريعٌ بطيء
...
عصبيُّ المزاج رديء
هادئٌ كخيالٍ يرتب ألفاظَه
مظلمٌ معتمٌ ...ويضيء
فارغٌ ومليءٌ بأضدادِه
...

هو الفوضويُّ الأناني
والسيدُ الواحدُ المتعدد
نؤمن حينًا ونكفر حينا
ولكنه لا يبالي بنا
حين يصطادنا واحدًا واحدًا
ثم يصرعنا بيدٍ باردة
إنه قاتلٌ....وبريء

(قاتلٌ وبريء/ ديوان: أثر الفراشة)

مصطفى صادق الرافعي:

لم تحيرني المتناقضات ولا المتشابهات، ولا ضِقتُ بأسباب الفكر فيها، فإن ذلك الحبَّ جعل فيَّ عقلين لا عقلًا واحدًا؛ أحدهما يُقرُّني في هذه الدنيا، والآخر ينقلني إلى ثانية؛ دنيا الناس جميعًا ودنيا امرأةٍ واحدة؛ دنيا السماوات والأرض ودنيا قلبي.

(رسائل الأحزان)

الأفعال تتحدث بصوتٍ أعلى

للأفعال سحرٌ لا يتأتَّى للكلمات حينَ تعاني اللغةُ من التكرار، فتتخلَّى حينئذٍ عن معانيها وتعجز عن إرسال الإشارات.. كانتِ الأيام قد أضحت بطيئةً عادية، وفي هذا اليوم عرَّجتُ على محلِّ الورد، طلبتُ من البائع وردة بنفسَج، أخفيتُها وراء ظهري وطرقتُ الباب، استقبلتني مستغربةً أني لم أستخدم مِفتاحي، لاحَظَتْ ابتسامتي، نظرتُ إليها وكأني أدعوها إلى تخمين ما سيحدث بعد ثانيتين. حين رأتِ الوردة امتزجتْ استجابتُها بلمعةٍ في عينيها واندهاش..

لماذا تتعجَّب المرأةُ من عودة الرجل إلى صوابه ؟!

أذكر في بدء علاقتنا أنني كنتُ آتي بأفعالٍ جنونية، كأنْ أمسكَ يدَها أمام صديقتها، فتنتفض خجلًا وترميني بكل معاني العتاب واللوم، ثم تلمع عيناها، فأسكن إلى نفسي مطمئنًا. وبعد حينٍ، دُعينا إلى حفل زواج أحد أصدقائي، وحينما نُودي على الثنائيات أن يتراقَصا، دعوتُها على غير عادتي إلى أن نعلن ما بيننا، فجفلتْ، ثم قامت خجْلَى إلى حيث احتضنتُ خصرَها بعد أن أبديتُ إعجابي بلون ردائها السماوي.. كانت ليلةً استثنائية بكل معاني الكلمة!

أحمد عبد المعطي حجازي:

أحبّكِ؟ عيني تقول أُحِبُّكْ
ورنةُ صوتي تقولْ
وصمتي الطويلْ
وكلُّ الرفاق الذين رأوني، قالوا .. أحب!
وأنتِ إلى الآنَ لا تعلمين!
أحبك.. حين أزفُّ ابتسامي
كعابرِ دربٍ، يمر لأولِ مَرَّة
وحين أُسلِّمُ ثم أمرُّ سريعًا
لأدخلَ حُجْرَه
وحين تقولين لي .. إرو شِعرا
فأرويه لا أتلفّتُ، خوفَ لقاءِ العيونْ
فإن لقاءَ العيونِ على الشِّعر، يفتح بابًا لطيرٍ سجين
أخافُ عليه إذا صار حرًا
أخاف عليه إذا حطَّ فوق يديكِ
فأقصيتهِ عنهما!

(حبٌّ في الظلام /من ديوان: مدينة بلا قلب)

داود الأنطاكي:

وأما التشبُّه بالمحبوب في سائرِ الأفعال والأقوال والميلُ إلى ما يحبه والاستلذاذُ باستعمال ما كانَ من أثره، فأمرٌ معلومٌ لا يُجهل، ومطلوبٌ بين العُشَّاق، وأما اتحادُ الأجساد والمرضُ حيث يمرض الآخَرُ فكثيرٌ.

(تزيين الأسواق)

قلقٌ دائم

أعيش دومًا حالة قلق، قلق من فقدِها .. من بُعدِها ولو لفترة قصيرة .. من أن تسيء فهمي .. قلق شديد حالَ وجودي معها وسط مجموعة أصدقاء أو أقارب، إذ أعاني حساسيةً شديدة تجاه نظراتهم إليها، واهتمامهم بها .. أشعر بالخوف قُبيل التقائنا، فيتحول كل لقاء إلى معاناة؛ معاناةِ اختيار الملابس المناسبة، معاناةِ توقُّع جديدٍ غير سار، معاناةِ غيرتي المعتادة .

وغالبًا ما تكون أسباب القلق بسيطةً، ولكن تسيطر عليَّ حُمَّى تفسير كل صغيرة وكبيرة، فأقع بذلك فريسةً للحيرة والاضطراب. أما أقسى حالات قلقي فتلك التي أحياها بحثًا عن إجابة للسؤال الأبدي: ما الحب؟ فأنا أدرك وجود الحب، ولكني أخفق في إدراك جوهره ..

قد يمثل القلق في حياتنا إثباتًا لمقولة: أنا أقلق، إذن أنا أحب!!

مصطفى صادق الرافعي:

ترفعنا الهموم والآلام؛ لأن عواطف الحزن والشقاء لا تكون إلا من سموّ، وهي لا بد أن تكون؛ لأنها وحدها الحارسة فينا لإنسانيتنا، إذ تخلق مع حياة الجسم المادية حياةً معنويةً للقلب، ونحسها من فقد ما نفقده؛ لأنه لا بد للضمير الإنساني من صوت أليم يقول له أحيانًا: أنت سماويٌّ فاترك هذا، وكأن كل لوعة ألم يحسها المرء هي صرخة عاطفة جديدة ولدت في النفس.

(أوراق الورد)

محمود درويش:

ويا حُبّ، يا من يُسَمُّونه الحبَّ، من أنتَ حتى تعذِّب هذا الهواءْ
وتدفع سيدةً في الثلاثين من عمرها للجنونِ
وتجعلني حارسًا للرخام الذي سالَ من قدميها سماءْ؟
وما اسمُك يا حُبُّ، ما اسمُ البعيدِ المعلَّقِ تحت جفوني
وما اسمُ البلاد التي خيَّمت في خطى امرأةٍ جنَّةً للبكاءْ
ومَنْ أنت يا سَيِّدي الحب حتى نُطيع نواياكَ أو نشتهي

أن نكون ضحاياكَ؟

(أنا العاشق السيئ الحظ/من ديوان: هي أغنية هي أغنية)

أحمد الشهاوي:

للعاشق حزنٌ مجهول؛ لأن الحب يُحمِّله ما لا يستطيع حمله، ويُبقيه روحًا بلا جسد، ويعيش في كمدٍ وكربٍ وغربة، إذا داخَله شعورٌ بالتقصير إزاء المعشوق، أو ذكرِ ما فات؛ لأن التذكر يُميت.

(الوصايا في عشق النساء- الكتاب الأول)

الجسـد

.. في لحظةِ تعالٍ منها، بعد طول عتابٍ ولوم؛ داعبتُها، فتصدَّتْ لمحاولاتي، وسارتْ إلى حيث تُوليني ظهرَها، فاحتضنتُها بقوةٍ، فأرختْ سِتر الإباء، وراحت في بكاءٍ شديد لم تفلح معه كلُّ ألفاظ التوسل والاعتذار ..

أعرفُ أن للحضن سُلطةً مستبدَّة!!

عندما أنظر إلى تفاصيل جسدها لأجتلي أسرارها بعينيَّ، ينشقُّ عنها بعضُها- في غفلةٍ منها- فيَشي بما تمنَّعتْ أن تبوح به، وقد تنتبه فتُلملم ثغورها وتُحكم الإغلاق .. أرقبُها رغبةً في التقاط شواردها، فألتمس انفراجةَ شفتيها أو لمعانَ العينين .. حتى إطراقةُ رأسها ونظرتها إلى الأرض كانت تكفيني أحيانًا.

.. نعم، قد يثور الجسد على صاحبه.

في يومٍ ما بعدَ أن باعَدَتِ الأيامُ بيننا لأسبابٍ عديدة، كان لقاؤنا قصيرًا جدًا، وكان الشوق قد بلغ المدى، فلم تنجح الكلمات المعتادة في إسكان دواخلنا، تحركتْ شفتاها من دون

كلام، شعرتُ أنني على شفا جرفٍ عالٍ. لم أنتبه من شعوري السابق إلا وأنا أرتوي من فمها، وألقي بكُلِّيَّتي فيها وأبثُّها حرقتي وانصهاري .. وبتناغُمِ جسدَيْنا أحسستُ بها تُلهمني إيقاعًا رائعًا مشوبًا بوحشيةٍ بدائيةٍ، هي طبيعتها الأنثوية الأولى التي أشعر معها بالتحرُّر الكامل وبقوةٍ مذهلة. لحظتَها شعرتُ وكأنَّ العالم كله قد انزاحَ إلى الوراء، وتصدَّرْنا نحن المشهد، أو أننا ارتفعنا عاليًا في الهواء، فبدا كلُّ شيء آخر صغيرًا جدًّا.

جبران خليل جبران:

إن الجمال سرٌّ تفهمه أرواحنا وتفرح به وتنمو بتأثيراته، أما أفكارنا فتقف أمامه محتارةً محاولةً تحديده وتجسيده بالألفاظ، ولكنها لا تستطيع ... الجمال الحقيقي هو أشعةٌ تنبعث من قدس أقداس النفوس وتنير خارج الجسد مثلما تنبثق الحياة من أعماق النواة وتُكسب الزهرة لونًا وعطرًا. هو تفاهم كُلِّي بين الرجل والمرأة يتم بلحظةٍ، وبلحظةٍ يولد ذلك الميل المترفِّع عن جميع الأميال. ذلك الانعطاف الروحي ندعوه حبًا.

(في باب الهيكل)

مصطفى صادق الرافعي:

القُبلة الأولى هي تلك النظرات الطويلة الحائرة في أَعْيُنِ المحبين وقد ضاقتْ بالصمتِ والإبهام وكثرةِ ما تتردد بين معنىً يسأل ومعنىً يجيب؛ فانحدرتْ إلى الشفاهِ لتخلق حركةً وتتمثل صوتًا وتستعلن للحبِّ بكل معانيها.

(رسائل الأحزان)

جبران خليل جبران:

إن المرأة التي تمنحها الآلهةُ جمالَ النفس مشفوعًا بجمال الجسد هي حقيقةً ظاهرةٌ غامضة، نفهمها بالمحبة ونلمسها بالطُّهر، وعندما نحاول وصفها بالكلام تختفي عن بصائرِنا وراء ضباب الحيرة والالتباس.

(الشعلة المشتعلة)

نزار قبّاني:

عامانِ .. مرَّا عليها يا مقبِّلتي
وعطرُها لم يزل يجري على شفتي
كأنها الآن .. لم تذهبْ حلاوتها
ولا يزال شذاها ملءَ صومعتي
إذْ كان شَعركِ في كفيَّ زوبعةً
وكأن ثغركِ أحطابي .. وموقدتي
قولي. أأفرغتِ في ثغري الجحيمَ وهل
من الهوى أن تكوني أنتِ مُحرقتي
لما تصالبَ ثغرانا بدافئة
لمحتُ في شفتيها طيفَ مقبرتي
تروي الحكايات أن الثغر معصيةٌ
حمراء .. إنك قد حبَّبتِ معصيتي
ويزعم الناسُ أن الثغر ملعبها
فما لها التهمت عظمي وأوردتي؟
يا طِيبَ قُبلتكِ الأولى .. يرفُّ بها

شذا جبالي .. وغاباتي .. وأوديتي
تركتِني جائعَ الأعصابِ .. منفردًا
أنا على نهمِ الميعادِ .. فالتفِتي.

(القبلة الأولى/ من ديوان طفولة نهد)

الرفيق

يلازمني الشعور بالألم طالما أعشق.. أتألم كثيرًا حين أقسو عليها.. حين أتسبب بغَيرتي في جرحها.. حين أجلد ذاتي لأثبت لها أن هذا أثر حبها فأستدرُّ بذلك عطفها إعادةً للعلاقة التي بدأت تضعف .. حين أحاول - عبثًا- أن أُخفي ما بيننا فتثور عليَّ شفتاي وعيناي. أتألم إذا ذُكِرَتْ في مجلسٍ بغير ما أحب ..

.. أتألم عندما أفكر في الموت، في حين تكمل هي الحياة مع رجلٍ آخر .. أتألم كثيرًا حينما أتحدث إليها وهي مستغرقةٌ في النظر إلى شيءٍ ما .. أتألم حين لا تقدِّر أمرًا ما فعلتُه من أجلها .. أتألم حين أرسل إليها رسالةً ويتأخر ردُّها ..

.. أتألم حين تمرض فأشعر بالوحدة والارتباك، ثم يزداد ألمي إذا ما أردتُ إخفاء هذا الارتباك بهدوءٍ مصطنعٍ أو بابتسامةٍ مُتكلَّفة .. وهكذا يصبح الألم رفيقَ رحلتي إلى معذِّبَتي.

جبران خليل جبران:

الحبُّ لا ينشد إلا تحقيق ذاته، فإذا أحببتَ، ولم يكن بُدٌّ من أن تساوركَ رغبات، فلتكن هذه رغباتك: أن تذوبَ حتى تصبح كالغدير المنساب، يغني الليل ألحانه، وأن تحس الألم النابع من فيضِ حنانٍ كبير، وأن تقبل الجرح ينتابك من إحاطةِ ذاتِك لمعنى الحب، وأن ينزف دمُك عن رضًا وابتهاج، وأن تنهض مع الفجر بقلب مجنَّح، لتستقبل شاكرًا يومًا في الحب جديدًا، وأن تنام في الظهيرة مستغرقًا في نشوة الحب، وأن تعود مع الأصيل إلى مأواكَ عارفًا للجميل، ثم تخلد إلى النوم، وقلبك يسبِّح بمن تهوى، وشفتاك ترتجفان بأنشودة الحمد.

(النبيّ)

مصطفى صادق الرافعي:

في الحبّ يتعلم القلبُ كيف يتألم بالمعاني التي يُجرِّدها من أشخاصها المحبوبة وكانت كامنةً فيهم، وبالفراق يتعلَّم القلب كيف يتوجَّع بالمعاني التي يجرِّدها هو من نفسه وكانت كامنةً

فيـه.

فـترى العمـرَ يتسـلَّل يومًـا فيومًـا ولا نشـعر بـه، ولكـن مـتى فارقنـا مـن نحبهـم نبَّـه القلـب فينـا معـنى الزمـن الراحـل، فـكان مـن الفـراق عـلى نفوسـنا انفجـارٌ كتطـايرِ عـدة سـنين مـن الحيـاة.

وترى العمـرَ يمتـلئ شـيئًا فشـيئًا ولا نحـسُّ الـزيادة كيـف تزيـد: فـإذا فارقنـا مـن نحبهـم نبَّـه القلـب فينـا معـنى الفـراغ، فـكان مـن الفـراق عـلى أكبـادنا ظمـأ كظمـأِ السـقاء الـذي فـرغ مـاؤه فجـفَّ وكان الفـراق جفـاءً.

(السحاب الأحمر)

نزار قبّاني:

عندما تقرّرينَ
أن تذْهبي مع رجُلٍ آخرْ
لا تنسَيْ أن تأخذي معكِ
مِعْطفَ المَطَرْ
فالجوُّ مُتقلِّبْ...
والرياحُ باردَه..

وأخشى، أن ينسى صديقُكِ الجديدْ
أن يضَعَكِ في جيبِ معطفِهِ ..
كما كنتُ أَفْعَلْ.....

(المعطف/ ديوان: لا غالب إلا الحب)

مصطفى صادق الرافعي:

سألها مرّةً: ماذا يقول البحر لو سقطت فيه دمعةٌ من مهجور؟

فقالت إنّه يقول: إنسانٌ أحمق أو مخبول، يحاول أن يجعل له بحرًا من قطرتين..

قال : أراكِ يا فيلسوفتي لا تفهمين لغةَ الوجود!

قالت : فما أنتَ ترى ؟

قال : إنّه يقولُ عندئذ: تباركتَ يا ربّ! أنا الجبّار المالئ ثلاثةَ أرباع الأرض ماء، قدْ آلمتني دمعة محبٍّ متألّم، فهلْ هو يحمل ثلاثة أرباع الهمِّ في الأرض؟!

(أوراق الورد)

مصطفى صادق الرافعي:

أما ألمُ الحب، فذاك حين يأتي على اللحم والدم معنىً لو تجسَّم لكان هو الذي يَصْهِرُ الحديدَ في موجٍ من لهب النار، ويحطم الصخر في زلزلةٍ من ضربات المعاول... أولئك يتأوَّهون لا بالأنينِ كغيرِهم من الناس، ولكن برعدِ الأرواح يرجف إذ تنفجر بكهربائها، ويبكون لا بالدموع، ولكن بسحائبَ من معانيهم، يؤلِّفها القدر ويراكمها ويضربها، فيسوقها لِتُمطرَ على ناحية الجدب الإنساني.

(أوراق الورد)

الرسول

طالما أنه لم يَتَمنَّ أن يعيش تجربةً مماثلة، يؤدي رسول الحبِّ دوره بجدارةٍ فإذا ما دخل في التجربة تزيد قدرته على إحداث تصدُّع في العلاقة بين المعشوقين، ومن ثمَّ خلق مساحة أكبر من سوء الفهم بينهما .. وهو يفعل ذلك بقصدٍ أو بغير قصد.

تألمتُ كثيرًا بعد أن علمتُ من صديقتها أنها لم تُعجب بلونِ القميص الذي كنت أرتديه حينما التقيتُها آخر مرة. قد يبدو هذا الأمر بسيطًا ويمكن تخطِّيه، لكنَّني ظللتُ أيامًا حزينًا تنتابني مخاوف كثيرة، فقد تكون هناك أمورٌ أخرى لا تعجبها فيَّ أخفتُها عني الصديقةُ.. وقد تكون .. لا أظنّ ..

في مساءِ يومٍ ما - وببراءةٍ- أخبرَها الرسولُ أنني أحببتُ قبلها.. هي لم تكن تعلم!!

ابن حزم:

ويقع في الحبِّ بعد هذا، بعد حُلولِ الثقة، وتمامِ الاستئناس، إدخالُ السَّفير. ويجب تخيُّره وارتياده.. فهو دليلُ عقلِ المرء، وبيدِهِ حياتُه وموتُه.

(طوق الحمامة)

تفاصيل

افتتان ..

هـذا المعـنى يُورثـني حـالةً مـن الترقُّـب وقـوة الملاحظـة، فأُمعـنُ النظـرَ- كلَّمـا التقيتُهـا- في التفاصيـل: طريقـةِ الـكلام، عطرِهـا الهـادئ، شـكلِ قرطهـا يتـدلَّى مـن أذنيهـا، وَرْدِ شـفاهها الطبيـعي، لـونِ ردائهـا الرقيـق، ابتسـامتِها، لمعـانِ عينيهـا العسـليَّتين ..

سمعـتُ مـن أحـد أصدقـائي الشـعراء أن لمعـان العيـون ليـس دليـلًا دائمًـا عـلى الفـرح، فقـد يكـون حـزنًا مسـتكينًا تنحبـس وراءه دمعـة.

ودومًـا أختـبر مفهـوم كونهـا مختلفـة .. ومـن فـرطِ مـا أراهـا كاملـةً ومتفـرِّدة، فإنـني أُصـدم حـين أرى فيهـا نقصًـا مـا، ولـو مجـرد أنهـا لم تعـد تحسـن اختيـار ألـوان حقيبـة يَدِهـا. في هـذه الحـالة يسـقط افتتـاني بهـا لبُرهـة، فتتشـوَّه الصـورة - ولـو جزئيًّـا- وبتكـرار ذلـك يضغـط عـليَّ شـعورٌ أنهـا عاديـة مثـل الأخـريات.. وهـو نفـس مـا يحـدث حينـما تحـاول التواصـل مـعي- أو مغازلـتي- بـكلام مبتـذل، كأنْ ترسـل إليَّ كلمـات الأغـاني المشـهورة أو شـعارات الحـب التي

فقدت معناها، فأستهجن ذلك منها؛ لأنني أرى علاقتنا لا ينبغي أن تكون تكرارًا لقوالب جاهزة.

في هذه الحالة يصعب عليَّ وصف ما يصيبني من ألمٍ، أشعر وكأن جانبًا مني قد تصدَّع وبدأ ينهار شيئًا فشيئًا .. أتوقف مليًا للحظات .. أطيلُ التأمل فيها وفيَّ .. أفرُّ إليَّ متسائلًا: هل أخطأتُ في حساباتي؟ أم أن شيئًا ما تبدَّل؟

مصطفى صادق الرافعي:

وهل أبدعَ اللهُ الفمَ الجميل المبتسم بهندسته وتقسيمه إلا ليبدعَ هو في ابتسامته فنَّ الروح حين لا تستطيع أو لا تريد أن تتكلم فترتعش؟.

(أوراق الورد)

أحمد عبد المعطي حجازي:

وأنا

حبُّنا. صار شيئا تعودته كل يومْ

وله كلَّ يومٍ تقاليدُهُ

وله كلَّ يومٍ طباعٌ وحُكم

فى الأصيل أشدُّ إليكِ الرِّحال

فى طريقٍ، عددتُ شجيراتِه الناحلاتِ الظلال

وحفظتُ شواهدَ من حوله لا تطوفُ ببال

واستعدتُ على طولهِ، كلمات عتابٍ، وبوحٍ، ولوْم

وتشككتُ فيما أسير له .. أتُراني أعلل نفسي

بوهْم؟

وأواجه بابَكِ، أخشى جوابَ السؤال

نلتقي

تفرح الروحُ إذا نلتقي

كزهورٍ تندَّت بصبحٍ نقيّ

وأهيم، أصارعُ طعمَ العذاب

لو مضى اليومُ دون لقاء

مثلما فى السماءِ تناوح طيرٌ مصاب!

فإذا أقبل الليل، أسعى إلى الأصدقاء

أنثرُ الكلماتِ هنا، وهنا

عن حياة النهارِ، وعن حبنا

وأعود إلى البيتِ عند انطفاء الزجاجِ المضاء

لأفكرَ فيك مدى ساعةٍ،

قبل أن يأتي العينَ نومْ!

(رومانتيكية /من ديوان: لم يبقَ إلا الاعتراف)

مصطفى صادق الرافعي:

عندما تبتسمين أشعر بحرارةِ أفكارِك في دمي. وفي تضرُّج وجنتيكِ لا أرى احمرارًا ولا خجلًا ولا حياءً، بل أرى قلبك يتكلم بلون خدَّيكِ.

(أوراق الورد)

نزار قبّاني:

شؤونٌ صغيرهْ تمرّ ...
بها أنتَ دونَ التفاتِ
تُساوي لديَّ حياتي
وحينَ أكونُ مريضهْ
وتحملُ لي أزهارَكَ الغاليهْ
صديقي إليّ ..
وتجعلُ بين يديكَ يديّ
يعودُ ليَ اللونُ والعافيهْ
وتلتصقُ الشمسُ في وجنتَيْ
وأبكي.. وأبكي.. بغيرِ إرادهْ

وأنتَ تردُّ غطائي عليّ
وتجعلُ رأسي فوقَ الوسادهْ
تمنّيتُ كلَّ التمنّي
صديقي .. لو انّي
أظلُّ .. أظلُّ عليلهْ
لتسألَ عنّي ..
لتحملَ لي كلَّ يومٍ ..
ورودًا جميلهْ ..
وإن رنَّ في بيتِنا الهاتفُ
إليهِ أطيرْ
أنا يا صديقي الأثيرْ
بفرحةِ طفلٍ صغيرْ
وأنتظرُ الصوتَ ..
صوتَكَ يهمي عليّ
دفيئًا، مليئًا، قويّ
كصوتِ نبيّ
كصوتِ ارتطامِ النجومْ
كصوتِ سقوطِ الحليْ

وأبكي .. وأبكي ..
لأنّكَ فكَّرْتَ فيّ
لأنّكَ من شرفاتِ الغيوبْ
هتفْتَ إليّْ

(شئون صغيرة/ من ديوان: حبيبتي)

مصطفى صادق الرافعي:

أما سمعتَ بذلك الأعرابي الذي قيل له ما بَلَغَ من حبكَ لفلانة؟ فقال: واللهِ إني لأرى الشمسَ على حائطها أحسنَ منها على حيطان جيرانها ... قد واللهِ صَدَقَ وبرَّتْ يمينُه، فإن في كلماته الشعرية لأثرًا من عينيه؛ إذ يرى الشمس على حائطها كالشمس على البُلُّور الصافي لا على الحجر والمدر؛ فهناك أشعةٌ أخرى من تلك التي وراء الحائط تنفذ إلى قلب هذا المسكين، فإذا هي سطعت لخياله في نور الشمس أضافت إلى النور ألوانًا مختلفة من ذلك المعنى الجميل الحي؛ فلا تكون الشمس في عينيه أحسن ما هي وقتئذٍ ولو أنها طلعتْ على حائطٍ من اللؤلؤ.

(رسائل الأحزان)

غضب

تنتابني حالاتُ غضبٍ من دونِ النظر إلى استحقاق الموقف لهذا، أشعر بعدَها بضغطٍ عصبيٍّ شديد يدعوني إلى تخطِّي الأمر الآنَ، وليس بعدَ قليل .. فأبحث عن أي فرصةٍ للتواصل، ولو قدَّمتُ بعضَ ما يُطلق عليه: تنازلات.

مصطفى صادق الرافعي:

وعلى ظهرِ كلمةِ الغضب وضعَ الماضي رحالَه المملوءةَ بالذكريات وانحدر على طريق محاولة النسيان فذهبَ حيث لا يُلحق، ورُمي إلى حيث لا يعود.

ألا ما أشأمَ الساعةَ التي تعارض فيها كلمةُ قلبٍ كلمةَ قلبٍ آخر يحبه، وتقفُ لها كبرياء معشوقة بإزاء كبرياءَ تعشقُها، وتضيق نفسٌ على نفسٍ تحاول كلتاهما أن تحبس الأخرى في سجن كلمتها !..

تلك ساعةٌ واللهِ بين العدوّين أخفُّ وأرحمُ مما هو بين الحبيبين.

وَلَعمري وَعَمرِك ما التقاءُ العدوِّ بعدوّه في مناجزةٍ إلا صورة همٍّ وروعٍ مصغّرة من صورةِ ابتعادِ حبيبٍ عن حبيبه في هجر، إنَّ معركة الدم لأصغرُ من معركة الدمع.

(أوراق الورد)

مصطفى صادق الرافعي:

قال بعضهم: لا يصلح الحبُّ بين اثنين إلا إذا أمكن لأحدهما أن يقول للآخر: يا أنا؛ ومن هذه الناحية كان البُغض بين الحبيبين- حين يقع- أعنفَ ما في الخصومة؛ إذ هو تقاتُلُ روحين على تحليل أجزائهما الممتزجة. وأكبر خصيمَيْن في عالم النفس، متحابَّان تَبَاغَضَا!

(السحاب الأحمر)

الوصايا

كثيرًا ما أُسدي إليها النصح .. غاضبًا من تصرُّفٍ ما أتتْه، أو هانئًا سعيدًا بدورِ الوصيّ. في هذه اللحظات يكون الصدقُ في أدقِّ معانيه، فأُجزِل لها العطاء مستفيضًا في الشرح والتوضيح.. كانت أهم وصاياي لها: كوني متنوعةً بما يكفيني.

أحمد الشهاوي:

اعرُجي إلى سمائكِ الأخيرة، عندما تكونين معه، لا تستحي من فعلٍ خطر لكِ. لا تخجلي من واردٍ جاءكِ، أو حلمٍ أيقظك. كوني نفسكِ لا تقلِّدي، تجرَّدي من شواغلك، اخلعي الدنيا عنك، واذهبي معه عاريةً إلا منه ... تذكري أن الليل لكِ، ففيه يقع التجلي والإشراق، وفيه جني ثمار اللذة، فلا تضيِّعي العمر في نوم الليل، لأنه خُلِق للعشق والأسرار.

(الوصايا في عشق النساء- الكتاب الأول)

جبران خليل جبران:

إذا أومأ الحبُّ إليكم فاتّبعوه وإن كان وعرَ المسالك زلقَ المنحدر، وإذا بسط عليكم جناحيه فأسلِموا له القِياد، وإن جَرَحَكم سيفُه المستورُ بين قوادِمه، وإذا حدَّثكم فصدِّقوه.

(النبيّ)

نزار قبّاني:

إن رفَّ يومًا ..كتابي
حديقةً في يديكِ
وقال صَحْبُكِ: شعرٌ
يُقال في عينيكِ ..
لا تخبري الورد عني
إني أخافُ عليكِ
ولا تبوحي بسرِّي
ومن أكونُ لديكِ
ولتقرأيه بعمقٍ
ولتسبلي جفنيكِ

ولتجعليه بركنٍ
مجاورٍ نهديكِ
هذي وريقات حبٍ
نَمَتْ على شفتيكِ
عاشت بصدري سنينًا
لكي تعودَ إليكِ

(مِنِّي/من ديوان: طفولة نهد)

أحمد الشهاوي:

احرصي على أن تخلُقي في عاشقكِ دهشة الاستكشاف التي لا انتهاءَ ولا حدودَ لها. فالمرأة قارَّة دائمةُ الكشف، كنوزُها لا تُحصر، وأسرارُها لا تُعد، والعاشق يُؤسر فيها مادام في دهشة حتى النَّفَس الأخير.. نصيحتي ألا يكون سكوتكِ أكثر من كلامكِ، ولا كلامُكِ أكثر من سكوتك.

(الوصايا في عشق النساء- الكتاب الأول)

وانفرط انسجام الكون

وافترقنا ..

غاب عني معنى الجمال في كل ما يحيط بي، لم أعد أرى ضوءًا يبرق في كل ركن من أركان عالمي. حتى نجوم السماء لم تعد تضيء .. فقدتُ القدرة على السير وحدي؛ فبِها كنتُ أقهرُ ظُلمةَ نفسي وأستعين بها على ظلمات طريقي.

حينما سمعت أمَّ كلثوم آخر مرةٍ كانت تغني (أمل حياتي) لم أتوقف كعادتي عند معاني الكلمات. وجدتُها كلمات عادية يؤديها صوتٌ قويٌّ فحسب .. فقدتُ القدرة على التأمل في التفاصيل، فلم أعد أرى أسراب الطيور في السماء تشكِّل قلبًا .. اسمًا .. وجهًا. بل رأيتُها آخر مرة تهرب مسرعةً إلى الغياب. لم أعد أرى في ابتسامة الأطفال رحابةَ الحياة، صرتُ أضيق بسماع هياجهم وهم يتقافزون فَرِحين. أصبحتُ أكثر حساسيةً تجاه مشاهد الوداع المؤلمة في الروايات .. يضيق صدري-أنانيةً- لسماع قصص العشق وتجارب المحبين .. أشعر أنني ضائع، أفقد الانتماء، أتوارى، أنزوي، أسقط من عليائها وعليائي، أذوب شيئًا

فشيئًا إلى زوال، أحنُّ إلى الاشتياق، إلى الوداع .. إلى الانتظار.. لماذا لم أعد أرى الكون - مثلما كان بها - منسجمًا ؟!

جبران خليل جبران:

واليوم، وقد مَرَّتِ الأعوام المظلمة طامسةً بأقدامها رسومَ تلك الأيام، لم يبق لي من ذلك الحلم الجميل سوى ذكرياتٍ موجعةٍ ترفرف كالأجنحة غير المنظورة حول رأسي، مثيرةً تنهُدات الأسى في أعماق صدري، مُستقطرةً دموع اليأس والأسف من أجفاني.

(في باب الهيكل)

مصطفى صادق الرافعي:

ما الفراق إلا أن تُشعِر الأرواحُ المفارقةُ أحبتَها بمسِّ الفناء لأن أرواحًا أخرى فارقتها؛ ففي الموت يُمسُّ وجودنا ليتحطَّم، وفي الفراق يُمسُّ ليلتوي؛ وكأن الذي يقبض الروحَ في كفِّه حين موتها هو الذي يلمسها عند الفراق بأطراف أصابعه.

(السحاب الأحمر)

نزار قبّاني:

برَغم جميع ادَّعاءاتِنا
بأنِّي لن ..
وأنَّكِ لن ..
فإنّي أشُك بإمكاننا
فنحنُ برغمِ خلافاتنا
ضعيفانِ في وجهِ أقدارنا
شبيهانِ في كُلِّ أطوارِنا
دفاترُنا، لونُ أوراقِنا
وشكلُ يدينا .. وأفكارِنا
فحتَّى نقوشُ ستاراتِنا
وحتى اختيارُ أسطوراتِنا
دليلٌ عميق
على أننا ..
رفيقا مصيرٍ، رفيقا طريق
برَغم جميع حماقاتِنا ..

(قصة خلافاتنا/ من ديوان: حبيبتي)

مصطفى صادق الرافعي:

وفي بُعدكِ لا أشعر بالزمن يَفْنَى من الساعات والأيام، بل مني ومن حياتي، فأنا في بعُدكِ أذوب، أذوبُ فناءً.

(أوراق الورد)

تماثُل

- نعم كنتُ أعشقها وعشتُ تجارب أخرى في الوقت ذاته

- ألم تكن تحبّها فعلًا؟

- بلى، أحببتُها حتى الغياب.

- فكيف لك أن تحبَّ معها غيرها؟

- أنا لم أحبَّ سواها، ولكني عشقتُ كلَّ تجربةٍ مماثلة، عشقتُ المعنى وتركتُ الذوات، عشقتُ الوداع والانتظار، عشقتُ الألم والمعاناة أينما حلاَّ، وكيفما كانا.

- وبعد أن انتهى ما بينكما، هل ستحبُّ أخرى؟

- ما بيننا لم ينتهِ، ما حدثَ أننا ابتعدنا، ولا بد أن نستمرَّ فيما بدأناه .. ولو في حياةٍ أخرى!!

جبران خليل جبران:

إن النفس الحزينة المتألمة تجد راحةً بانضمامها إلى نفسٍ أخرى تماثلها بالشعور وتشاركها بالإحساس مثلما يستأنس الغريب بالغريب في أرضٍ بعيدة عن وطنيهما. فالقلوب التي تدنيها أوجاعُ الكآبة بعضها مع بعض لا تفرقها بهجة الأفراح وبهرجتها، فرابطةُ الحزنِ أقوى في النفوس من روابط الغبطة والسرور؛والحبُّ الذي تغسله العيون بدموعها يظل طاهرًا وجميلًا وخالدًا.

(الشعلة البيضاء)

المصادر

- (رسائل الأحزان، السحاب الأحمر، أوراق الورد)، مصطفى صادق الرافعي، تقديم: دكتور عبد القادر القط، الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان، الطبعة الأولى ٤٩٩١.

- الأعمال الجديدة، محمود درويش، رياض الريس للكتب والنشر، الطبعة الأولى، ٤٠٠٢.

- الأعمال الشعرية الكاملة، نزار قباني، منشورات نزار قباني، بيروت لبنان، الطبعة الثانية عشرة ٦٨٩١.

- جبران خليل جبران (النبي، رمل وزبد، الأرواح المتمرِّدة، الأجنحة المتكسِّرة)، ترجمة وتقديم: دكتور ثروت عكاشة، الشركة المصرية العالمية للنشر-لونجمان، الطبعة الأولى ٢٩٩١.

- أنا، عباس محمود العقَّاد، نهضة مصر للطباعة والنشر، ٦٩٩١.

- تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشَّاق، داود الأنطاكي الضرير، تحقيق وشرح: دكتور محمد التونجي، عالم الكتب، الطبعة الأولى ٣٩٩١.

- ديوان الشعر العربي المعاصر، الشاعر أحمد عبد المعطي

حجازي (الأعمال الكاملة)، دار سعاد الصباح- القاهرة ٣٩٩١.

- ديوان صلاح عبد الصبور (الأعمال الكاملة)، دار العودة- بيروت، ٨٨٩١.

- ديوان محمود درويش، دار العودة- بيروت، الطبعة الثانية عشرة، ٧٨٩١.

- روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ابن قيِّم الجوزية، دار النبلاء بيروت، بدون تاريخ.

- طوق الحمامة في الألفة والألاف، ابن حزم الأندلسي، ضبطه وحرَّر هوامشه: دكتور الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، الطبعة الرابعة ٥٨٩١.

- مصارع العُشَّاق، أبو محمد جعفر بن أحمد بن الحسين السرَّاج القارئ، تحقيق: محمد حسن محمد حسن، أحمد رشدي شحاته، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى ٨٩٩١.

- الوصايا في عشق النساء- الكتاب الأول، أحمد الشهاوي، الدار المصرية اللبنانية، ٣٠٠٢.

- الأعمال الكاملة، فاروق جويدة، دار الشروق ٤٠٠٢.

المحتوى

مقدمة	5
بين الصمت والبوح	9
صورةٌ غائمة	15
انتظار	19
لغةٌ أخرى	25
ألَقٌ	27
حضور الغياب	29
الطيف	35
وآويتُ إليَّ	37
أما بعد،،،	39
طقوسٌ	43
من أولِ السَّطر	47
لا بُدَّ منها	51
الهدية	53
ظلالُ البعيدة	57
التورُّط	61
النافذة	65
في الحبِّ شيءٌ من كلِّ شيء	69
الأفعال تتحدث بصوتٍ أعلى	73
قلقٌ دائم	77
الجسد	81

الرفيق 87
الرسول 93
تفاصيل 95
غضب 103
الوصايا 105
وانفرط انسجام الكون 109
تماثُل 113
المصادر 115

رقم إيداع /٢٥٢٥٩

الترقيم الدولى / ٨- ٠٢٤ - ٧٨٤ - ٩٧٧ - ٩٧٨